المحاضرة العاشرة

المغرب في عهد الدويلات المستقلة الثالث (التاريخ السياسي) :

بعد انهزام الموحدين في وقعة العقاب سنة 609 هـ دب الضعف في الدولة ولم يتمكن خلفاؤها من الحفاظ على وحدتها الجغرافية فانفصل عنهم الحفصيون بالمغرب الأدنى واستقل الزيانيون بالمغرب الأوسط واستقل بنو نصر (بنو الأحمر) بغرناطة بينما قامت دولة بنو مرين منقضة على حكم الموحدين في المغرب الأقصى .

أولا : الحفصيون بالمغرب الأدنى :

ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص يحي بن عمرو الهنتاتي صاحب مكانة مرموقة في البلاط الموحدي وكذا أولاده من بعده ، ويعتبر أبو زكريا يحي الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين [1] إذ استقل بتونس سنة 625 هـ بعد أن عزل أخاه أبا محمد عبد الله ابن أبي محمد بن أبي حفص بسبب القتل الذي قام به المأمون الموحدي ضد الموحدين خاصة قبيلة هنتاتة .

عمر الحفصيون ما يربو عن الثلاثة قرون ونصف [2] ، وقد بايع أهل شرق الأندلس واشبيلية والمرية الحفصيين وبعث إليهم الأقوات والأسلحة ، وقد شكل الأندلسيون احد أهم التركيبة الديمغرافية للدولة الحفصية خاصة في عهد أبي عبد الله المستنصر وكان من أعظم الأمراء الحفصيين لتطور العمران والتجارة خاصة في عهده لكن ظهرت الفتن في نهاية حكمه وتولى بعده الأمير أبو عصيدة 675 هـ ومن أشهر الحكام الآخرين لدولة الحفصيين أبو حفص ، أبو يحي بن اللحياني ،

---

[1] عن أخبار دولة الحفصيين انظر كذلك ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 370 وما بعدها .

[2] للاستزادة عن أخبار الحكام الحفصيين وأعمالهم انظر: الزركشي : المصدر السابق ، ص 23 وما بعدها .

أبو إسحاق إبراهيم ، وعموما بدأت دولة الحفصيين تضعف وخرجت بجاية عن طاعتهم كما استولى بنو مرين على تونس في عهد أبي عنان المريني كما ظهرت دويلات صغيرة مثل بني يملول في توزر وبني مكي في قابس وبني ثابت في طرابلس ، ورغم ذلك تصدى الحفصيون للنصارى في المهدية سنة 1390 م في عهد أبي العباس بل وهاجم ابنه أبو فارس مالطة واستولى على تلمسان وقضى على الدويلات السابقة واستولى على الجزائر وجاءته السفارات من غرناطة وفاس ومصر وهو دليل قوته وتوفي في 1434 م وخلفه ابنه المستنصر فمات في وقت قصير (14شهر بسبب مرضه) فخلفه أخوه أبو عمر وظهرت الفتن والثورات ثم قضى عليها وبعد وفاته دخلت تونس في فوضى فقد انتفضت القبائل وزاد التحرش الاسباني بالسواحل التونسية انتقاما من الأتراك العثمانيين الذين استولوا على تونس فيما بعد .[3]

ثانيا : بنو زيان في المغرب الأوسط :

بنو زيان أو بنو عبد الواد قبائل رُحّل [4] ثم استقروا وكوّنوا دولة امتدت لثلاث قرون اتخذوا من تلمسان عاصمة لملكهم ، ويعتبر يغمراسن بن زيان مؤسس هذه الدولة ، وكان معينا من قبل الموحدين عاملا على تلمسان سنة 624 هـ [5] وبعد تهاوي السلطة الموحدية استقل بحكم البلاد ، وامتدت جغرافية هذه الدولة في المغرب الأوسط لذلك فهي تتوسط الحفصيين والمرينيين ، وقد عانت من ضغط من الجهتين فأصبحت بعض المناطق تحت وصاية بني حفص ، كما حاول المرينيون احتلال تلمسان وحاصروها سنة 737 هـ حتى أسقطوها سنة 738 هـ (1337) ، وتمكن أبو الحسن المريني من قتل الأمير ابن أبي تاشفين ثم استعادها الزيانيون ،

---

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 875 - 879 .

[4] للاستزادة عن أخبار هذه القبيلة : انظر : أبو زكرياء يحي ابن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر ، 1903 ، مج 1 ، ص 94 وما بعدها .

[5] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ ، ص 359 .

وعاودت الرجوع إلى السلطة المرينية من جديد سنة 753هـ ، واستعادها الزيانيون سنة 761 هـ ، وتولى الإمارة أبو حمو علي بن أبي زيان فازدهرت تلمسان وتوسع العمران كالمدارس والقصور ، غير أن الفوضى عادت من جديد أواخر القرن التاسع الهجري فغزا الحفصيون تلمسان سنة 870 هـ وتهدمت أسوارها وبعدها بدأت الهجمات الاسبانية أو ما يعرف في الاصطلاح التاريخي بالتحرش الاسباني الذي لم يكن سوى امتدادا لحركة الاسترداد المسيحي ، واحتل الأسبان عدة مدن ساحلية مثل بجاية 910 هـ وهران 914 هـ ثم الجزائر ن مما اضطر الأهالي إلى الاستنجاد بالإخوة بربروسة العثمانيين الذين قدِموا وحرروا كثيرا من المناطق وتم القضاء على الحكم الزياني سنة 1554 م [6] ، ليستخلف من بعده الحكم العثماني في المنطقة .

ثالثا : بنو مرين في المغرب الأقصى :

بعد تهاوي السلطة الموحدية اثر هزيمة العقاب سنة 609 هـ تفتت الغرب الإسلامي ليستقل الحفصيون بالمغرب الأدنى والزيانيون بالمغرب الأوسط وبنو نصر بما تبقى من الأندلس، أما المرينيون وبعد أن استشعروا ضعف الموحدين بعد وقعة العقاب دخلوا معهم في حروب انتهت بانقراض حكومة الموحدين وقيام الدولة المرينية [7] حيث تمكن السلطان عبد الله يعقوب بن عبد الحق (يكنى أبا يوسف) [8] من دخول مراكش سنة 668 هـ ، ويتصل نسب أبو يوسف يعقوب بمرين الزناتي [9]

لم يتخل بنو مرين عن إخوانهم النصريين (بنو الأحمر) في الأندلس حيث جاز أبو يوسف بنفسه إلى الأندلس (668هـ) لذلك الغرض ، وبنى أبو يوسف يعقوب

---

[6] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 872 – 875 .

[7] المرجع السابق ،ج 2 ، ص 867 .

[8] عن أخبار من حكم دولة المرينيين انظر : النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 192 – 193 .

[9] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 297 .

مدينة لصيقة بفاس اسمها المدينة البيضاء وجعلها مقرا لسلطته ، ثم جاز هذا السلطان مرة أخرى (676 هـ) إلى الأندلس وغزا فيها كثيرا وجاز مرة ثالثة سنة (681 هـ) ورابعة (684هـ) وفيها مرض وتوفي في الجزيرة الخضراء سنة 685 هـ ، فبُويع ابنه أبو يعقوب يوسف [10] وجرى على سيرة أبيه في الجهاد والعدل في الرعية وجاز إلى الأندلس عدة مرات كما غزا تلمسان ، ثم خلفه ابنه أبو ثابت عامر 706 هـ الذي بنى مدينة تطاوين ، وفي سلطنة أبي سعيد عثمان بن يعقوب استولى بنو مرين على المغرب الأوسط وضم تلمسان سنة 714 هـ كما جاز إلى الأندلس مُلبّياً نداء المستغيثين في غرناطة وتوفي أبو سعيد عثمان سنة 731 هـ وخلفه ابنه أبو الحسن علي بن عثمان الذي امتلك تلمسان سنة 737 هـ كما استولى على تونس سنة 748 هـ وصار ملكه من برقة إلى السوس وصارت سطوة المرينيين جلية على مناطق واسعة من المغربين الأوسط والأدنى خاصة في عهد ابنه أبي عنان بن أبي الحسن الذي استولى كذلك على قسنطينة وبجاية ، وبعد هذا السلطان تولى دولة بني مرين حُكام ضعفاء ، فبدا سلطان المرينيين يتقلص في المغرب الأدنى ثم الأوسط كما استولى البرتغاليون على سبتة سنة 818 هـ وهكذا بدأت تنهار دولة بني مرين ، ثم استولى البرتغاليون على جزء كبير من ساحل المغرب مثل أصيلا (876 هـ) وازمور وطنجة (869 هـ) ،وهكذا تقلصت جغرافية بني مرين واكتفت بفاس ، خاصة بعد أن خرجت مراكش وتافيلالت والسوس والريف عن طاعتهم ، ولم تلبث دولة المرينيين أن سقطت على أيدي الأشراف السعديين بسقوط مدينة فاس في أيديهم سنة (956هـ)[11] .

[10] عن أخبار هذا الأمير الحاكم انظر: ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 374 وما بعدها .

[11] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 870- 872 .